



24 مارس 2020
بقلم: صادق أمين

شهر كريم مبارك أطلنا عن قريب، فأهاج مشاعر الهداية والإيمان، وهتف بنا إلى الطاعة والعبادة والإحسان، ومن يُمنُّ الطالع أن تهلَّ علينا هذه الأيام المباركات لتكون خير زاد للأمة الإسلامية، وخير معين للشعوب النائرة من المحيط إلى الخليج، وقد نارت على حكامها الطغاة الغلاظ الذين كبتوا حرياتهم وأهانوا شعوبهم، وتسببوا في تأخرهم عن ركب الشعوب الحرة التي تنعم بحريتها وكرامتها وترتقي حضارياً وتتقدم علمياً وتزدهر ثقافياً وصناعياً واقتصادياً وصحياً، وأولى بذلك كله شعوب أمتنا الإسلامية.

يأتي شهر شعبان يحمل الخير للأمة؛ كي تنهض وتتقدّم وتبني حياتها من جديد، وتؤسس حضارتها وتستعيد عافيتها وكرامتها، ولا شك أن الأمم التي تسعى لإحداث نهضة عظيمة وبناء دولة قوية مجيدة تحتاج إلى مقومات أساسية وطاقات جبارة ووقود روحي لا ينضب، ولا تجد نظاماً يمتلك كل ما تحتاج إليه الأمم الناهضة كما يمتلكها نظام الإسلام.

إنّ بلادنا تمرُّ بأخطر العهود وأشد المراحل، عهد الانتقال من حياة إلى حياة، ومن نظام للحكم قمعي دموي متسلط مستبد إلى نظام جديد يحدده الشعب، والرأي فيه شورى بينهم والحكم للشعب، لا إقصاء ولا استبعاد ولا استبداد بالرأي، ونأمل أن تجتاز البلاد هذه المرحلة الانتقالية الخطيرة على خير حالٍ وأقرب حين؛ حتى تتحقق آمال البلاد وتطلعات العباد.

فهذا الشهر الكريم تقدمه لشهر رمضان المبارك، وتمرير للأمة الإسلامية على الصيام والقيام وصالح الأعمال؛ حتى يذوقوا لذة القرب من الله تعالى، ويستطعموا حلوة الإيمان، فإذا أقبل عليهم شهر رمضان أقبلوا عليه بهمة عالية ونفس مشتاقة، وانكبُّوا على الطاعة وعكفوا على العبادة، وتناول في السطور التالية:

- فضائل شهر شعبان:

- حكمة إكثار النبي- صلى الله عليه وسلم- من الصيام في شهر شعبان:

- خطوات نتواصى بها ونحن على عتبات الشهر الكريم:

* فضائل شهر شعبان:

روى الإمام أحمد في مسنده والنسائي في سننه بسند حسن عن أسامة بن زيد- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يسرد حتى نقول لا يفطر، ويُفطر حتى لا يكاد يصوم، إلا يومين من الجمعة إن كان في صيامه، وإلا صامهما، ولم يكن يصوم من الشهور ما يصوم من شعبان، فقلت: يا رسول الله، إنك تصوم حتى لا تكاد تفطر، وتفطر حتى لا تكاد تصوم إلا يومين إن دخلا في صيامك، وإلا صمتهما: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- "أي يومين؟" قال: الإثنين والخميس، قال صلى الله عليه وسلم: "ذلك يومان تُعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم".

في هذا الحديث يصف الصحابي الجليل أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- صيام رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على مدار العام؛ فكان من هديه أن يصوم وبطيل الصوم حتى يخيل لأصحابه أنه لا يفطر، وكان يفطر أياً ما متتالية حتى يظن أنه لا يصوم، وهذا ما عبّرت عنه أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: "كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم"، وكان "أنس بن مالك"- رضي الله عنه- يقول: كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يصوم حتى يُقال قد صام قد صام، ويُفطر حتى يُقال قد أفطر قد أفطر.

ومعنى ذلك أن صومه وفطره قد علمه الكافة، فمن رآه أيام صومه يقول: لا يفطر من كثرة أيام صيامه، ومن يره أيام فطره يقول: لا يصوم من كثرة أيام فطره، بل كان ذلك هديه صلى الله عليه وسلم.

من السنة صيام يومي الإثنين والخميس:

كان النبي الكريم- صلى الله عليه وسلم- يتحرّى هذين اليومين ويصومهما، ويحرص على ذلك، كما أخبر "أسامة بن زيد" في الحديث السابق، وكما روت الصديقة أم المؤمنين "عائشة" رضي الله عنها.

إن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يتحرّى صيام الإثنين والخميس وحين أدرك الصحابة ذلك عنه سألوه، فقبل يا رسول الله، إنك تصوم الإثنين والخميس، فقال صلى الله عليه وسلم "إن يوم الإثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا متهاجرين".

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: "تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول أنظروا هذين حتى يصطلحا".

وحيث سُئل الرسول- صلى الله عليه وسلم- عن حكمة صيامه يوم الإثنين والخميس؟ قال: "ذلك يومان تُعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم".

وعرض الأعمال على الله تعالى في هذين اليومين هو عرض خاص غير العرض العام الذي يكون كل يوم بكرة وعشية، فترفع أعمال الليل إليه- سبحانه وتعالى- قبل النهار، وترفع أعمال النهار إليه قبل الليل، كما صحَّ الحديث بذلك عند مسلم وابن ماجه.

ومن هنا ندرك الحكمة من تحرّي النبي- صلى الله عليه وسلم- لصيام الإثنين والخميس وحرصه على ذلك، فهو يحب أن تعرض أعماله على ربه الجليل وهو صائم، فذلك أحرى أن تُقبل منه.

كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يكثر الصيام في شهر شعبان:

اشتهر عن النبي- صلى الله عليه وسلم- صيامه في شهر شعبان، وأن صيامه في شعبان أكثر من صيامه في غيره، فعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: ما رأيت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان.

فإلى الذين يستنون بسنة النبي- صلى الله عليه وسلم- ويقتدون به، ويعلنون للدنيا أن الرسول قدوتهم نقول: قد أقبل عليكم شهر حبيب إلى حبيبكم- صلى الله عليه وسلم-، وقد بان لكم خصوصية هذا الشهر ومكائنه وعلمتم فضائله ومنزله، وكيف كان حال النبي- صلى الله عليه وسلم- فيه، فلقد شاع الخبر أنه كان يُكثر الصيام فيه، فماذا أنتم فاعلون؟

إن الباقية الكريمة من الأحاديث الشريفة التي نُورث السطور السابقة، وعطرت مسامعنا تنادي فينا.. هلموا يا أتباع محمد- صلى الله عليه وسلم- إلى خير كان يحرص عليه حتى وفاته.

حكمة إكثار النبي- صلى الله عليه وسلم- من الصيام في شعبان:

يختلف الصحابة الكرام في حال النبي- صلى الله عليه وسلم- في شهر شعبان، وكيف كان يُكثر الصيام فيه، فما الحكمة في ذلك؟

ذكر الإمام الشوكاني- رحمه الله تعالى:- ولعل الحكمة في صوم شهر شعبان أنه يعقُبه رمضان، وصومه مفروض، وكان النبي- صلى الله عليه وسلم- يُكثر من الصوم في شعبان قدر ما يصوم في شهر غيره لما يفوته من التطوع الذي يعتاده بسبب صوم رمضان.

وقد ذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي- رحمه الله تعالى- في بيان حكمة إكثار النبي- صلى الله عليه وسلم- من الصيام في شعبان: أن شهر شعبان يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان؛ حيث يكتنفه شهران عظيمان، الشهر الحرام رجب، وشهر الصيام رمضان، فقد اشتغل الناس بهما عنه فصار مغفولاً عنه، وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيامه؛ لأن رجب شهر حرام، وليس الأمر كذلك، فقد روت السيدة عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: "ذكر لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- ناسٌ يصومون شهر رجب فقال: "فأين هم من شعبان".

وفي قوله: "يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان".. دليل على استحباب عمارة الأوقات التي يغفل عنها الناس ولا يفطنون لها، كما كان في بعض السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين (المغرب والعشاء)، ويقولون هي ساعة غفلة، وكذلك فضل القيام في وسط الليل؛ حيث يغفل أكثر الناس عن الذكر؛ لانشغالهم بالنوم في هذه الساعة، وقد قال النبي- صلى الله عليه وسلم- "إن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن"، وفي هذا إشارة إلى فضيلة التفرد بذكر الله تعالى في وقت من الأوقات، قلَّ من يذكر الله فيه.

وقد صح عن النبي الأكرم- صلى الله عليه وسلم- قوله: "العبادة في الهرج كالهجرة إليّ"، وخرجه الإمام أحمد في مسنده ولفظه "العبادة في الفتنة كالهجرة إليّ"، وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتنة يتبعون أهواءهم، ولا يرجعون إلى دين، فيكون حالهم شبيهاً بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع ما يرضيه ويجتنب ما يغيظه... كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مؤمناً به، متبعاً لأوامره، مجتنباً لنواهيه.

والمعنى الآخر للحكمة ما عبّر عنه النبي- صلى الله عليه وسلم- في حديث أسامة بن زيد- رضي الله عنهما: "وهو شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم"، فأحب النبي- صلى الله عليه وسلم- أن تُرفع أعماله وتُحتم أعمال السنة وهو على أفضل حال من العبادة والطاعة؛ ولذلك قال: "وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم".

وذكر في صوم شعبان معنى آخر، وهو أن صيامه كالتمارين على صيام رمضان؛ لئلا يدخل في رمضان على مشقة وكلفة، بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده، ووجد بصيام شعبان قبلة حلاوة الصيام ولذته، فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط.

ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه ما يشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن؛ ليحصل التأهب لصيام رمضان، وترتاض النفوس على طاعة الرحمن.

شهر شعبان شهر القراء:

قال سلمة بن كهيل الحضرمي الكوفي التابعي- رحمه الله تعالى:- وذلك لأن القوم كانوا إذا أقبل عليهم شهر شعبان تفرغوا لقراءة القرآن الكريم، ومن ثمَّ قالوا: شعبان شهر القراء.

خطوات تتواصى بها ونحن على أعتاب الشهر الكريم:

هذا موسم من مواسم الطاعة، وفرصة من الفرص الذهبية التي تتاح لعشاق الجنة الذين يتوقون إلى رفقة سيد المرسلين محمد- صلى الله عليه وسلم- ما أجمل التسابق بين أفراد الأسرة في طاعة الله!!، وما أطيب التعاون بينهم على البر والتقوى والعبادة والطاعة، لا سيما في هذا الشهر الكريم!!.

وقبل أن نفترق نوصي أحببتنا ببعض الوصايا النافعة:

1- الاقتداء برسول الله- صلى الله عليه وسلم- والتأسي به في طاعته لله تعالى، وكثرة صيامه في هذا الشهر الكريم.

2- إن تسارع المسلمين الفضليات بقضاء ما عليهن من أيام رمضان الماضي؛ اقتداءً بأمهات المؤمنين زوجات النبي الكريم- صلى الله عليه وسلم-، حيث كُنَّ يَأخُرن قضاء رمضان إلى شعبان ليوافق صيام النبي- صلى الله عليه وسلم- في شعبان؛ وذلك لأنهن كُنَّ يشتغلن مع النبي- صلى الله عليه وسلم- عن قضاء ما عليهن من رمضان.

3- أن يُقبل الجميع على كتاب الله تعالى تلاوةً وتديراً وتعبداً وتخشعاً، فما هي إلا أيام و يقبل علينا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الكريم.

4- أن يسارع الإخوة الكرام، أئمة المحراب، الذين يؤمنون المسلمين في صلاة التراويح، ويبادروا إلى مراجعة ما يحفظون من كتاب الله تعالى، وأن يشغلوا أنفسهم في شهر شعبان بهذا الواجب؛ حتى يكونوا في رمضان على أفضل حال.

قبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد معلم الناس الخير.

شهر شعبان من الأشهر التي لها مكانة عظيمة في الإسلام؛ حيث تُرفع فيه الأعمال لله عز وجل.. وكلمة شعبان تعني كما جاء في كتاب (مختار الصحاح): ش ع ب الشَّعْب بوزن الكَعْب ما تَشَعَّبَ من قَبَائِل العَرَب والعَجَم والجمع شُعُوب، وهو أيضاً القَبيلة العظيمة، وقيل أَكْبَرُهَا الشَّعْبُ ثم القَبيلة ثم القَصِيْلَة ثم العِمارة بالكسر ثم البَطْن ثم القَجْد، وشَعَبَ الشَّيْءَ قَرَّه، وشَعَبَهُ أيضاً جَمَعَهُ من باب قَطَعَ وهو من الأضداد، وفي الحديث "ما هَذِهِ الفُتْيَا التي شَعَبَتْ بها النَّاسُ" أي قَرَّفَتْهم، والشَّعْبَة واحدة الشَّعْب وهي الأَعْصَان، وجمع شُعْبَان شَعْبَانَات.

الغزوات والمعارك

* في 9 من شعبان 932هـ= 21 من مايو 1526م: السلطان المسلم بابر شاه ينتصر على جيش هندي ضخم، يضم 100 ألف جندي وألف فيل في معركة "بانيبات" التي استمرت 7 ساعات فقط، وينتمي بابر شاه إلى سلالة تيمور التي أقامت حكماً إسلامياً في الهند استمر 3 قرون.

* معركة الخُصَيْد: بين المسلمين بقيادة "القَعْقَاع بن عمرو"، والفرس بقيادة "رُوزَبَه"، وكانت في 10 من شعبان 12هـ= 20 من أكتوبر 633م، وانتصر المسلمون، وفرَّ الجيش الفارسي بعد مقتل قائدهم.

* 15 من شعبان 1294هـ= 25 من أغسطس 1877م: القائد العثماني أحمد مختار باشا ينتصر على الجيش الروسي في معركة "كدكلر"، ويحصل من السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني" على لقب "غازي" لانتصاراته المتعددة على الجيوش الروسية.

* في 18 من شعبان 967هـ= 14 من مايو 1560م الأسطول العثماني بقيادة طرغذ باشا ينتصر على الأسطول الأسباني الصليبي في معركة "جريا" قرب تونس، في واحدٍ من كبرى المعارك البحرية في التاريخ العالمي في تلك الفترة، ويقتل أكثر من ثلثي بحّارة الأسطول الأسباني، في حين لم يسقط من العثمانيين سوى ألف شهيد فقط.

* 20 من شعبان 852هـ= 19 من أكتوبر 1448م، السلطان العثماني مراد الثاني ينتصر على جيوش أوروبا المسيحية المؤلفة من مائة ألف مقاتل في معركة كوسوفا بعد 3 أيام من القتال الشرس الذي قُتل فيه 17 ألف أوروبي، وتعدُّ هذه الحملة الأوروبية هي الحملة السادسة التي تجهَّزها أوروبا لطرده العثمانيين من أوروبا لكنها فشلت في تحقيق الهدف.

* في 23 من شعبان 13هـ= 22 من أكتوبر 634هـ، نشوب معركة الجسر بين المسلمين بقيادة "أبي عبيد" والفرس بقيادة ذي الحجاب "بهم بن جاذوبه"، وكانت معركةً هائلةً استشهد فيها أبو عبيد، وتولَّى القيادة المثنى بن حارثة، ولم يوقِّ المسلمون في تحقيق النصر، وإن أبلّوا بلاءً حسناً في المعركة.

* نشوب معركة "الْبَيْس الصغرى" بين المسلمين بقيادة "المثنى بن حارثة" والفرس في 24 من شعبان 13هـ= 23 أكتوبر 634م، وكان النصر فيها حليفاً للمسلمين.

مواليد

* مولد الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير، أول مولود في الإسلام، في 2 من شعبان 2هـ= 29 من يناير 624م، نشأ في بيت ثبل وشرف، وعلم وحكمة، فأبوه الصحابي الجليل الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وخالته أم المؤمنين عائشة، وُصف بالشجاعة والإقدام، ودعا لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاوية بن يزيد سنة 64هـ.

* في 3 من شعبان 4هـ= 9 من يناير 626م، مولد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وُلد في المدينة المنورة، وكان جِبَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- هو والحسن، دعا لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان وتولَّى ابنه الخلافة؛ حيث لم يرصّه الحسين خليفَةً للمسلمين، استشهد في واقعة كربلاء الشهيرة.

* في 15 من شعبان 476هـ= 28 من ديسمبر 1083م، مولد العالم الكبير أبي الفضل عياض بن موسى البحصبي السبتي، المعروف بالقاضي عياض، حافظ المغرب، وأحد أئمة العلم في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وصاحب المؤلفات المعروفة في الحديث والفقه والتاريخ، ومن أشهرها: مشارق الأنوار، والإلماع.

